الدولة الموحدية بين الواقع ووشاح المهدوية

إعداد الدكتورة توت محمد احمد ابراهام
المغرب

المقدمة

شهد الغرب الإسلامي حركة إصلاحية عنيفة تناقضت مع شعار سام نبيل "التوحيد" متوشحة بلباس المهدوية، مبررة ذلك بانحراف المرابطين عن الجادة، لتهدم أركان دولة إسلامية طالما كانت حصنا منيعا ضد أطماع الصليبين، فأثلج هذا صدور الأعداء الحاقدين.

إن التاريخ الإسلامي، قلما يقدم إلينا حركة أكثر تواضعا في بدايتها، وأبعد مدى في نتائجها، من تلك الحركة التي قام بها محمد بن تومرت السوسي، المتشح بثوب المهدي، والتي أسفرت عن قيام دولة من أعظم الدول الإسلامية، وأضخمها رقعة، وأعظمها قوة وسلطانا هي الدولة الموحدية الكبرى[1].

وقد مهد نجاح الدولة المرابطية الطريق سالكة لاستنساخ تجربة الشيخ عبد الله بن ياسين الذي وضع أسس دولة المرابطين ومنهجها، وقد ساعد النسيج الاجتماعي على ذلك كون قبيلة المصامدة هي الأغلبية لتكون ندا لدولة المرابطين وهنا يحضر البعد القبلي الذي وظفه ابن تومرت لاستمالة هذه القبائل المتعطشة للحكم.

يقول المراكشي المؤرخ المغربي الذي عاصر الموحدين –مشيرا إلى العصبية– التي تضاعفت في عصر المصامدة، وكانت أساس قيام دولة الموحدين: "لم تزل طاعة المصامدة لابن تومرت تكثر، وفتنتهم به تشتد، وتعظيمهم له يتأكد، إلى أن بلغوا في ذلك حدا لو أمر أحدهم بقتل أبيه أو أخيه أو ابنه لبادر إلى ذلك من غير إبطاء وأعانه على ذلك وهونه عليهم ما في طباعهم من خفة سفك الدماء عليهم، وهذا أمر جبلت عليه فطرتهم واقتضاه ميل إقليمهم"[2]

ظهور الدولة الموحدية في خضم الأحداث المتلاحقة وبهذه القوة يجعل الشغف يثير في الباحث الإشكالات التالية: كيف نشأت الدولة الموحدية؟ وماهي المراحل المفصلية التي مر بها الموحدون؟ وما هو الوجه الحضاري والإنساني للموحدين؟ وما المرتكزات التي انبنى عليها نظام الدولة الموحدية؟

نشأة الدولة الموحدية والسياق التاريخي:

في عصر مضطرم بالقلاقل من منتصف القرن الثاني عشر تأسست دولة الموحدين وسط زحف أوروبي على البلدان الإسلامية، فمنذ مطلع القرن الحادي عشر ميلادي، تكثفت حملات الاسترداد في إسبانيا وبنهايته بدأت الحروب الصليبية على المشرق، وقد عانى العالم الإسلامي جراء هذه الحروب قرونا بعد ذلك. وقد تتالى فشل السلاجقة في المشرق والفاطميين فأخذ زمام المبادرة الزنكيون فالأيوبيون ثم المماليك. وعاصر الموحدون ضعف الفاطميين وسقوطهم، وقيام الأيوبيين وانحلال دولتهم.

وقد واكب ضعف دولة الأمويين في قرطبة في القرن الحادي عشر تمزق المغرب الأقصى فعصفت بهم النزاعات القبلية، وهي فرصة استغلها المرابطون حيث وحدوا المغرب والأندلس بعد القضاء على ملوك الطوائف، وبعد معارك بين النصارى والمرابطين تفوق فيها المرابطون بادئ الأمر ردحا من الزمان، ثم بعد ذلك في عهد ضعف المرابطين استولى النصارى على سرقسطة، وتبع ذلك ثورة الموحدين الذين وجدوا الفرصة سانحة لتركيز المرابطين على العدو الخارجي، فتفاقمت الأوضاع في الداخل، فخسروا الأندلس وانتزعها الطوائف مرة أخرى، وزحف الموحدون على المغرب واستولوا على مراكش.

وجسد هذا انتقام العبيديين من بني باديس في المغرب الأدنى والأوسط، فنزحت القبائل الهلالية من مصر إلى إفريقية بإيعاز من الفاطميين لما قطع بنو باديس الخطبة عنهم وحولوها إلى العباسيين[3]، وعاثت تلك القبائل في المنطقة من برقة إلى جباية خرابا ودمارا[4]، وبلغ أوجه بخراب القيروان عاصمة بني باديس الذين اتخذوا المهدية عاصمة جديدة[5]. ولئن أضعف قدوم العرب الهلاليين إلى المنطقة إمارة الصنهاجيين فقد أطمع ذلك النورمان من صقلية في الساحل الإفريقي فشرعوا في احتلال مدنه وحصنوه بحيث بلغت سيطرتهم مداها باستيلائهم على المهدية عام 1148 م[6]، وبسط الصقليون نفوذهم على المنطقة حتى أخرجهم الموحدون منها.

وهكذا قامت ثورة الموحدين وتصاعدت في وقت ذبلت فيه الدولة المرابطية بالمغرب، واشتد الزحف المسيحي في إسبانيا وتعرضت إفريقية للزحف الهلالي وما أعقبه من سيطرة نورماندي على إفريقية، وفي هذا الجو تشكلت الدولة الموحدية التي سنعرض لأهم مراحلها.

المراحل المفصلية لتاريخ الدولة الموحدية:

عرفت الدولة المرابطية اللمتونية انحدارا كارثيا على جميع الأصعدة سياسيا ودينيا واجتماعيا أدى إلى الثورة عليها من طرف المصامدة يقودهم محمد بن تومرت كزعيم روحي، وقد خالف نهج مهندس المرابطين الشيخ عبد الله بن ياسين، وهنا لابد من التطرق لمختلف المراحل التي مرت بها الدولة الموحدية بدءا بمؤسسها.

وضع حجر الأساس:

- **نسب محمد بن تومرت:**

تشير المصادر التاريخية إلى أصله الطالبي مع الحذر والاضطراب في نسبه، حيث ترده إلى دماء بربرية تربية ونسبا وعصبية إلى قبيلة هرغة إحدى بطون القبيلة الكبرى مصمودة، التي تعتبر أكثر القبائل البربرية عددا، وأشدها مراسا، وأكثرها نفوذا في الجاهلية والإسلام، وأعرقها ثراء أسرة ابن تومرت التي تسكن قرية إيجلي أن وارغن[7]، من قوم يعرفون بإيسرغنين وهم الشرفاء بلسان المصامدة[8]، وكان يلقب "أمغار" ومعناه باللسان البربري الضياء لكثرة ما كان يسرج من القناديل بالمساجد لملازمتها[9].

- **دعوته:**

بعد طلبه للعلم في الحواضر العلمية في المغرب كفاس، ومراكش، ثم رحل إلى الأندلس ومر بقرطبة ومنها انتقل إلى العراق متأثرا بشخصية الغزالي في بغداد[10]، وانتقل إلى مصر وتأثر بالطرطوشي، وكان ثائرا على البدع وكان ينكر على الناس ما يعتبره من المنكرات في حياة الناس اليومية[11]، وبإمعانه في استنكار سلوكيات الناس طرده أهل مصر فذهب إلى المغرب على ظهر سفينة وبدأ يعظ الناس ووجد الفرصة ذهبية للوعظ والإرشاد وعاد بحرا متفجرا من العلم وشهابا واريا من الدين[12]، واستمر في توجيه الناس ودعوتهم غير آبه بما يصيبه من أذى، واختار نجباء كالونشريسي وعبد المؤمن بن علي سيكون لهم شأن في تأسيس الدولة، وكان يسأل عن أخبار جبل درن موقع المصامدة[13].

- **إعلان حربه على المرابطين وتأسيس الدولة:**

ولما وصل مراكش عام 514 هـ/ 1120 م دخلت دعوته في طور جديد واتخذ من مكافحة فساد الطبقة العليا مادة لوعظه، فكثر أتباعه، مما حمل المرابطين على طرده من مراكش[14]، فسار على أغمات وخلع بيعة علي بن يوسف من أعناق تابعيه[15]. وفي إيجيليز بدأ في تنظيم أتباعه ومكث عاما كاملا يعظهم، ويحض على قتال المرابطين لكفرهم، ويذكرهم بالمهدي حتى أسلسوا له القيادة أعلن مهديته[16]. وهنا دخل مرحلة مقارعة المرابطين بحد السلاح لاجتثاثهم.

ولما سمى المرابطون الموحدين خوارج شن المهدي دعاية عظيمة عليهم فسماهم الحشم والمجسمة فاشتد عليه الهجوم فهاجر على تيملل وطهر جنده وآخى بين الموحدين[17]، ويبدو أن خطته العسكرية تطورت من الدفاع إلى الهجوم فهجم على مراكش ومني بهزيمة كبرى، فقد فيها جندا كثيرا وقادة عظماء ولم يلبث بعدها إلا قليلا حتى توفي[18].

وبوفاة المهدي تولى عبد المؤمن بن علي القيادة، وقد ورث تركة ثقيلة، فهزيمة البحيرة ووفاة المهدي أثرتا على معنويات المقاتلين، فارتدت بعض القبائل، فأقام عبد المؤمن بتينملل يتألف القلوب ويحسن إلى الناس وأعاد الثقة إلى النفوس فواصل الموحدون حروبهم وبدأوا يسيطرون

على حصون المرابطين، ويدعو القبائل لكسبهم سلميا واشترك مع المرابطين في معارك ضارية[19]، ويبدو أن النجاح الأولي الذي كسبه الموحدون أغرى عبد المؤمن مكنه من الصمود في حروب الأعوام الطويلة حتى سقطت دولة المرابطين[20].

العصر الذهبي:

بعد قضاء عبد المؤمن على جيوب الدولة المرابطية دخلت الدولة الموحدية عصرها الذهبي، الذي تميز بالتوسع والعمران والرفاه المادي والنهوض الفكري، وشملت فترة خلافة يوسف ويعقوب المنصور وأكثر خلافة الناصر.

ولم يتفرغ عبد المؤمن لأمر الأندلس إلا بعد أن خلص له المغرب عام 1148 م. وكان عليه أن يقضي على جيوب المرابطين في قرطبة وغرناطة وابن مردنيش في شرق الأندلس. فوالى إرسال البعوث والرسائل كرسالته إلى أهل سبتة[21]، وتتبع سير الأحوال فيها[22]، وفتحت جيان وقرطبة وقرمونة[23]، وسلمت غرناطة فانفرط عقد الدولة المرابطية، في الأندلس وتلتها المرية وبياسة وأبذة[24].

ومنذ أن أخضع عبد المؤمن المغرب اتسع ملكه في إفريقية والأندلس، وسار الفتح فيهما بشكل متزامن. فقد دخل عبد المؤمن مملكة بني حماد رغم استنجادهم بالهلاليين، كما فتح بجاية بمساعدة أبي محمد ميمون بن علي بن حمدون[25]. ومنذ عام 1156 م بدأ الضعف ينخر حكم الصقالبة في إفريقية، وفتح عبد المؤمن في حملته عام 1160 م إفريقية والمهدية وبلاد الجريد وطرابلس[26]، مما أخضع القبائل الهلالية ووضع حدا لنفوذ الرومان، وتمكن الجيش الموحدي من هزيمة الصليبيين في الأرك[27].

اتسم عصر الخلفاء الأربعة الأول باتساع دولتهم من طرابلس شرقا إلى المحيط غربا، وقوة نفوذها، فقد احتكت بدول عاصرتها كالنصارى في الإسبان، والنورمان، والأيوبيين في مصر. وضمت هذه الأرض الشاسعة عناصر متعددة وقبائل متنافرة فكثرت الثورات والفتن.

السقوط المدوي:

منذ مطلع القرن الثالث عشر الميلادي بدأت الدولة الموحدية تتهاوى خاصة بعد وفاة يوسف المستنصر آخر ملوك العصر الحديدي، فأعقب ذلك صراعا داخل الأسرة المؤمنية عصف بدولتهم[28]، وهكذا طبع الفشل حكم رابع حكام الموحدين في إدارة دولة مترامية الأطراف بمركزية غير عقلانية. وعضد ذلك فشله الكبير يوم العقاب في صد النصارى الذي كان إعلانا بهلاك الأندلس ولم تستطع بعدها الدولة الموحدية النهوض، وختم حياته بتولية صبي غر تغلب عليه أشياخ الموحدين[29].

وقد فاقم الوضع حدوث أزمات منها ما هو طبيعي كالزلزال الذي ضرب المغرب وعم بلاد المشرق ودول البحر الأبيض المتوسط[30]، وأزمات اجتماعية كالمجاعات والغلاء التي وقعت في حاضرة مراكش، وخلف ذلك اضطرابات أدت لانتشار السرقات[31].

وسياسيا ضعفت السلطة الموحدية بعد هزيمتها في معركة العقاب، وخسارتها المتتالية أمام قوة بني مرين وقلة اهتمامهم بتقوية الجيش بعد وفاة الناصر الموحدي[32]، وإهمال دورهم الديني[33]، يضاف لذلك عدم وجود نظام للحكم حيث سلك توريثا في نسل آل عبد المؤمن مما أذكى التنافس فيما بينهم للوصول للسلطة، الأمر الذي دفع بعض ولاة الأقاليم إلى الاستقلال بولايتهم[34]، كالحفصيين بالمغرب الأدنى، وبني زيان بالمغرب الأوسط بتلمسان، وبني مرين بالمغرب الأقصى بفاس[35]. وقد حدثت معارك للموحدين وبني مرين حيث هزموا في عهد عبد المؤمن ولكنهم أعادوا الكرة بعد حين فمني الموحدون بهزيمة نكراء في عام سمي بالمشعلة. وكان آخر هذه المعارك هزيمة الخليفة الموحدي أبي دبوس الذي قتل في معركة وادي تلاغ على يد ابي يعقوب المريني سنة 1269 م، وبذلك انتهت الدولة الموحدية[36].

الوجه الحضاري والإنساني للموحدين:

الحياة الاقتصادية:

- **الزراعة:**

أخضع عبد المؤمن الزراعة إلى سيطرة الدولة، لذلك لم يبق شبر واحد من الأرض الصالحة للزراعة، إلا وأصبح من المحتم على المزارع أن يستغله تحت نظر السلطة وتوجيهها وإشرافها المباشر، لتعطي أكبر طاقة إنتاجية ممكنة لأرض هي من أخصب بقاع العالم، وأطيبها تربة، وأكثرها أنهارا دائمة الجريان[37].

- **الصناعة:**

نهض الموحدون بالصناعة التي توفرت لها المواد الخام المنتشرة في الدولة الموحدية، فكلف آل عبد المؤمن متخصصين في استخراج المعادن، ودعموا آلاف الصناعات النسيجية والمعدنية والورقية والزيوت النباتية، والصابون، والدباغة التي أنتجت صنوف الحقائب والأحذية، والزجاج والحبر، هذا عدا عن ثلاثة آلاف طاحونة تطحن بالطاقة المائية بفاس وحدها، والأرحاء الطاحنة في جيان تحتشد على أبواب البيوت[38].

- **التجارة:**

اهتم عبد المؤمن بالتجارة الداخلية أولا، فسهل التعامل بين أبناء شعبه، بأن جزأ السكة، وضرب الدرهم، ونصفه، وربعه، وثمنه، ثم الخزازيب وهي صرف النقود، وتشجيعا منه أعفى التجارة من الضرائب المقررة وأخضعها للدولة، بأن راقب موازينها وجودتها، وعين رجال الحسبة الذين يسهرون عليها. أما التجارة الخارجية، فنالت القسط الأوفر من اهتمامه، فقد نشطها ووضع لها الأنظمة وعقد من أجلها المعاهدات التجارية مع مدن الساحل المتوسط كالبندقية، وجنوه، ومرسيليا، واستطاع ان يواءم بين الأرستقراطية التجارية والأرستقراطية القبلية[39].

الحياة الاجتماعية والناحية العمرانية

- **اهتمامهم بالناحية الاجتماعية**

ومما يجسد اهتمام الموحدين بالمجتمع، فعند زيارة أمير المؤمنين لمنطقة ما فإن الناس يظلون عشرين يوما في حالة فرح، ونفقاتهم على الدولة من أكل وشرب ونوم، ومنح الحاضرين ما يحتاجونه كل حسب مرتبته، وقد خص منهم عمال البناء والفنيين والمهندسين بمكافآت سخية على إخلاصهم وتفانيهم، وإتقانهم عملهم حسب المواصفات والمقاييس[40].

ولم يكن اليهود أقل حظا من المسلمين، رغم صدور قرارات مجحفة بحقهم، فقد استخدمهم الملوك، كسفراء، وجامعي الضرائب، وأطباء ومستشارين[41].

- **اهتمامهم بالعمران**

تأثر الموحدون في أبنيتهم التي شادوها؛ لمظاهر الترف والبذخ الأندلسي، فجملوها بالحدائق المغروسة حواليها، وزينوها بالبرك في داخلها، وأكثروا من تحليتها بالزخارف البديعة، والنقوش الجميلة[42]

الحياة الثقافية والعلمية

امتدادا للعطاء الفكري والثقافي في العصر المرابطي تبنى الموحدون وحي الفكرة وأطلقوا حرية العلوم والفنون[43]، وأطلق ابن تومرت مشروعا فكريا بكتابه التوحيد في سبعة أجزاء على عدد أيام الأسبوع باللسان البربري، يقرؤونه كل يوم فجرا، وكتابا آخر اسمه "الإمامة"[44]، وكتبا أخرى "أعز ما يطلب" وعقائد في أصول الدين[45]. وحرص عبد المؤمن على رعاية الرعيل الأول وخصهم بالعلم والتربية[46].

وقد ازدهر العلم والفن والأدب في العصر الموحدي، فلا يمكن حصر العلماء والأدباء لكثرتهم فهذه أسرة ابن زهر في الطب، وعائلة ابن البيطار في النبات، وأحمد بن محمد البطروجي في الرياضيات، وفي النحو عمر بن محمد المعروف بالشلوبين، وفي التاريخ من أمثال ابن الابار وابن بشكوال، وابن صاحب الصلاة. ومن النساء أسماء العامرية والشلبية، وحفصة الركونية وغيرهن.

المرتكزات التي انبنى عليها نظام الدولة الموحدية:

النظام السياسي الذي يرسم سياسة الدولة:

قسم ابن تومرت المجتمع إلى طبقات وصلت أربع عشرة طبقة تم ترتيبها في أربعة أجهزة:

- **الجهاز الأول**: جهاز سياسي ويشمل مجلس العشرة، ومجلس الخمسين، ومجلس السبعين.

- **الجهاز الثاني**: جهاز علمي ثقافي، ويشتمل على طبقة الطلبة، وهم الذين بلغوا نبوغا علميا وطبقة الحفاظ.
- **الجهاز الثالث**: جهاز عسكري، ويضم طبقة الجند، وطبقة الرماة، والغزاة.
- **الجهاز الرابع**: جهاز شعبي، ويشتمل على مجموعة من القبائل وهي: هرغة، وأهل تينملل، وجدميوه، وجنفيسة، وهنتاتة، وأهل القبائل[47].

الجهاز الإداري:

بنى الموحدون نظمهم الإدارية على من سبقهم من المرابطين، وقد كان تعيين الولاة منحصرا في أبناء عبد المؤمن والمخلصين من أشياخ الموحدين للأسرة الحاكمة، وقد ولد هذا سلوكا معاديا لدى البعض كبني غانية وغيرهم[48].

الخطط الدينية

لتسيير الحياة العامة عمد الموحدون لوضع خطط ترتكز على القضاء وما يتعلق به من شورى، وتوثيق، وحسبة، وشرطة، وصاحب الصلاة، والمؤذنون، وأهل الحزب من القرآن، والإمامة والخطبة، والخزانة العلمية التي لا يتولاها إلا فقيه، وكان أرباب الخطط يعينون من طلبة الحضر[49].

وهذا يعني مأسسة الشعائر الدينية حتى يكون حكام الموحدين قريبين من المجتمع ويتحكمون في أدق تفاصيل حياته اليومية.

لقد مكن ابن تومرت للأشعرية في المغرب الإسلامي[50]، وهو أول من فتح باب التأويل وله نزعة باطنية دل عليها وصيته لعبد المؤمن بالاعتناء بكتاب الجفر[51].

وقد كان الموحدون يؤيدون المذهب الظاهري وشنوا حملة على المذهب المالكي مذهب سلفهم، حتى أن عبد المؤمن أمر بإحراق كتب الفروع ليهتم الناس بقراءة كتب الحديث[52].

النظام العسكري

يعتبر الجيش عماد الثورة الموحدية، وانضاف له الأسطول فصارا فرسا رهان لقمع التمرد الداخلي والخطر الداهم من الخارج، وظل يحدد مظاهر القوة والضعف طيلة مسار الدولة.

ومما تميز به الجيش الموحدي كثرة الأسلحة وتنوعها. ولم يكن للموحدين في فترة إبجيليز عدة لأن الدفاع عملهم الحربي الأساسي. ولكن الأسلحة بدأت تكثر وتتنوع بما يغنمون من المرابطين. فلما خرج عبد المؤمن في حملته الطويلة الأعوام كان سلاح الموحدين هو الدرق والرماح[53].

ومن أشهر أسلحتهم السيوف الهندية والدرق اللمطية، والقسي الخطية، والرماح الطوال[54].

يتكون الجيش الموحدي من عناصر مختلفة ضمت المصامدة، وبني هلال، وسليم، والقوات الأندلسية، وزناتة، وبقايا المرابطين من صنهاجة، والسودان والروم[55].

النظم المالية

مما أنكر ابن تومرت على المرابطين أنهم فرضوا من الضرائب والمكوس ما لم يوجبه الشرع[56]، واعتبر الموحدون أن الموارد الشرعية للدولة هي الزكاة، والعشور، وأخماس المعادن والغنائم. أما الجزية فلم تذكر لأن الموحدين لم يقيموا ذمة لأحد في دولتهم.

الخاتمة

حملت الدولة الموحدية في طياتها بذور فنائها باعتمادها على قبيلة المصامدة دون غيرها، واحتكارهم للمناصب ثم انحدر الوضع بعد ذلك إلى تجذير النظام الوراثي في ذرية آل عبد المؤمن.

وهذا ينضاف إلى الجو المحيط بهم من أطماع صليبية وقلاقل داخلية جعلت الدولة الموحدية تنشأ في ظل مخاض عسير في المغرب الأقصى، ومع ذلك اتسع ملكها واستطاعت هزيمة المرابطين والقضاء على الفتن الداخلية وقد دفعت ثمن ذلك بموت مؤسسها ابن تومرت ونصف مجلسه بعد أن وضع حجر أساسها وترك لها نهجا للخلفاء من بعده.

وقد تابع عبد المؤمن نهج سلفه فقضى على المرابطين ووطد أركان الدولة وشيد مؤسساتها، واتسعت الدولة في عهده، وبسطت سلطانها وهكذا كان ديدن الحكام الأربع الأوائل.

وفي نهاية حكم الخليفة الرابع بدأت قبضة الموحدين على السلطة تضعف، خاصة مع انتقال الصراع على العرش داخل أفراد البيت الموحدي في عائلة عبد المؤمن، وتحكم أشياخ الموحدين لاسيما عند ما تولى العرش صبي.

ومع أن المصائب لا تأتي فرادى فقد انهد بنيان الدولة الموحدية بسبب الكوارث الطبيعية والأزمات الخانقة، في ظل ضعف الوازع الديني، مما حدا بالمرينيين بمهاجمة الموحدين، وإعلان بعض الولاة استقلالهم عن السلطة المركزية كالحفصيين وبني زيان، ومع تكرار المرينيين لهجماتهم سقطت دولة الموحدين على يد أبي يعقوب المريني.

وفي هذا الجو المثقل بالأزمات الغارق في الحروب لا يمكن أن يطمس وجها إنسانيا ميز إسهامات الموحدين، كاهتمامهم بالزراعة وإشراف الدولة عليها بصفة مباشرة، وازدهار الصناعة، ووضع سبل نظمت التجارة وطورتها، كما حظي الجانب الاجتماعي باهتمام خاص فكثر الانفاق على المجتمع ورصد المكافآت لكل من يتقن عمله، وللنهضة العمران نصيبها فقد كثرت الزخارف وأنماط الترف.

ولا يخفى الجانب الثقافي الذي كان شكل مسيرة عطاء بدأها المرابطون وقدم الموحدون للعالم علماء في شتى المجالات العلمية فشكلوا فضاء معرفيا منقطع النظير، وكان للمرأة حضورها القوي والفاعل.

وقد تحقق هذا النجاح بفعل نظام سياسي قسمه ابن تومرت وفق أجهزة معينة عهد إلى كل منها بمهام محددة. وقد شكل الموحدون خططا دينية مكنوا من خلالها من وضع طابع رسمي على الشعائر الدينية، فكان هناك موظفون يتابعون كل جانب منها.

ونظرا لاعتمادهم على الناحية العسكرية لإخماد الثورات الداخلية، وصد العدوان الصليبي فقد قووا الجيش واقتنوا المعدات.

وللنظم المالية نصيبها فقد عابوا على المرابطين فرض الضرائب المكوس وركزوا على الموارد الشرعية حسب زعمهم.

وبهذا تكون الدولة الموحدية قد قدمت تجربة لها ما لها وعليها ما عليها اجتهدت وقدمت نموذجا للحكم، لكن الواقع دائما يشهد انحرافات عن المؤسس لتعود نقمة الأتباع وينشغل الناس بالمصالح الشخصية وهذا يجعل العدو الخارجي الصليبي يستغل الوضع ليهزم الموحدين في موقعة العقاب كانت بمثابة رصاصة الرحمة على كيان الدولة الموحدية، وفتح الباب واسعا أمام انتصار المرينيين.

الهوامش:

1 محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، العصر الثالث، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، مصر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1990 م، ص 159.
2 أبو محمد عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، مصر: مطبعة الاستقامة بالقاهرة، 1949 م، ص 191.
3 ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971 م، ص 417.
4 محمد بن محمد الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مصر: مكتبة الثقافة الدينية، 2002 م، ص 89.
5 أبو محمد عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، مصدر سابق، ص 224.
6 إحسان عباس، **تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري**، ليبيا: دار ليبيا للنشر والتوزيع، 1967م، ص 141
7 عبد الرحمن بن خلدون، **تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مراجعة سهيل زكار، ج 6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000 م، ص 299.
8 المراكشي، **المعجب**، مصدر سابق، ص 262.
9 ابن خلدون، **العبر**، ج 6، مصدر سابق، ص 301.
10 لسان الدين بن الخطيب، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تص: البشير الفورتي، ط1، مطبعة التقدم الإسلامية، 1913 م.
11 ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، تحقيق أحمد العبادي، مدريد: معهد الدراسات الإسلامية، 1391 م، ص 125.
12 ابن خلدون، **العبر**، مصدر سابق، ج6، ص 302.
13 البيذق أبوبكر بن علي الصنهاجي، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1971 م، ص 57.
14 أبو الحسن علي ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط1، ج 10، بيروت: د ار الكتاب العربي، 1997م، ص 571.
15 أبو محمد ابن القطان المراكشي، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تحقيق محمود علي مكي، المغرب: دار الغرب الإسلامي، 1990 م، ص 29.
16 لسان الدين بن الخطيب، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، مرجع سابق، ص 83.
17 أبو محمد ابن القطان المراكشي، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، مصدر سابق، ص 95.
18 لسان الدين بن الخطيب، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، مرجع سابق، ص 92.
19 أبو الحسن علي ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج 10، مرجع سابق، ص 576.
20 ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج 3، مرجع سابق، ص 13.
21 ليفي بروفنسال، **مجموعة رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية**، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2010 م، ص 11.
22 عبد الملك بن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة: تاريخ بلاد المغرب والاندلس في عهد الموحدين**، تحقيق عبد الهادي التازي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1987 م، ص 448.
23 ابن ابي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.125.
24 لسان الدين ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003 م، ص 173.
25 ليفي بروفنسال، **مجموعة رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية**، مصدر سابق، ص 20
26 أبو محمد عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، مصدر سابق، ص 238.

[27] احمد بن يحي الضبي، **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**، القاهرة: دار الكتاب العربي، 1967 م، ص 45.
[28] لسان الدين بن الخطيب، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، مرجع سابق، ص 135.
[29] ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس، ج3**، مرجع سابق، ص 241.
[30] جلال الدين السيوطي، **كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة**، تحقيق عبد اللطيف السعداني، الرباط: وزارة الثقافة، 1971 م، ص 48.
[31] محمد مغراوي، **الموحدون وأزمات المجتمع**، ط 1، الرباط: جذور للنشر، 2006 م، ص 165.
[32] إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج 2، دار السلمي للتأليف والترجمة، الدار البيضاء، 1965م، ص 116.
[33] دنيز ويلم، **الحضارات الافريقية**، ترجمة نسيم نصر، بيروت: منشورات عويدات، 1984 م، ص 66.
[34] إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج 2، مرجع سابق، ص 11.
[35] نضال الله مؤيد مال الله الأعرجي، **الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن علي المريني 685 – 706 هـ /1286 – 1306 م، دراسة سياسية حضارية**، رسالة لنيل الماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف عبد الواحد دنون طه، جامعة الموصل، العراق، 2003 م، ص 85.
[36] ابن ابي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، مصدر سابق، ص 304.
[37] المراكشي، **المعجب**، مصدر سابق، ص 511.
[38] Rachel Arié, **Historia De Espana**, Barcelona : Labor, 1983, p.223.
[39] عبد القادر جغلول، **مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط**، لبنان: دار الحداثة، 1982 م، ص 78.
[40] ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، مصدر سابق، ص 127.
[41] Joseph F. O'Callaghan, **A History of Medieval Spain**, New York : Cornell University Press, 2013, p. 283.
[42] المراكشي، **المعجب**، مصدر سابق، ص 411.
[43] ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج 4، مرجع سابق، ص 351.
[44] ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص 177.
[45] المراكشي، **المعجب**، مصدر سابق، ص 275.
[46] ابن الخطيب، **الحلل الموشية**، مرجع سابق، ص 150.
[47] عبد المجيد النجار، **تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت**، واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995 م، ص 120.
[48] ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب**، ج 3، مصدر سابق، ص 101.
[49] أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق عادل نويهض، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1979 م، ص 131.
[50] إبراهيم التميمي، **الأشعرية في المغرب**، ط1، الجزائر: دار قرطبة، 2006 م، ص 5.
[51] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 180.
[52] الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى**، ج2، الدار البيضاء: دار الكتاب،1997م، ص 126.
[53] أبو محمد القطان، **نظم الجمان**، مصدر سابق، ص 241.
[54] ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، مصدر سابق، ص 215.
[55] أحمد مختار العبادي، **صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس**، الإسكندرية: منشأة دار المعارف، 2000 م، ص 162.
[56] محمد بن تومرت، **أعز ما يطلب**، الجزائر: وزارة الثقافة، 2007 م، ص 261.